الرحب ، القصير ، لازالة الكارثة . أضف الى ذلك ان عبد الناصر ، في هذه المرحلة الرومنسية ، الثورية ، وان كان قد أكد بحق مسؤولية الاستعمار في كارثة فلسطين ، الا انه لم يمسك تماما ، بسبب قصور وعيه للظاهرة الامبريالية ، بالافاق التاريخية للصراع العربي — الاسرائيلي وبانعكاسات الحلف الصهيوني — الامبريالي على المعركة .

كيف كان عبد الناصر يتصرف طوال هذه الفترة الرومنسية الثورية ، التي انتهت مع العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦ ؟ هذا ما سنحاول توضيحه عبر استعراض بعض الاحداث والوقائع التي نعتقدها مفيدة لانارة البحث : بادىء بدء ، يجدر التنويه ، كي نلقي ضوءا سريعا على استراتيجية اسرائيل وبالاحرى نظرتها التاريخية ، ان الجبهة الاسرائيلية المصرية لم تشهد اعتداءات اسرائيلية على مصر طوال سنوات حكم فاروق بعد حرب العام ١٩٤٨ ، وبقيت الحال كذلك ، فيما عدا حادثة السفينة بيت كاليم وقضية لافون(١٤)، حتى ٢٨شباط ١٩٥٥، حيث شنت اسرائيلعدوانا واسع النطاق على القوات المصرية في غزة ، ذهب ضحيتها سبعة وثلاثون من العسكريين المصريين وتسعة من المدنيين الفلسطينيين .

في الفترة الاولى من هذه المرحلة حارب عبد الناصر على جبهتين رئيسيتين : حارب في الجبهة الاولى لتصفية بعض الاتجاهات الليبرالية والاصلاحية بين الضباط الاحرار وللقضاء على الاخوان المسلمين والاحزاب كافة ، وحارب في الجبهة الثانية لكي يظفر اخيرا بجلاء الجيوش الانكليزية عن مصر بعد احتلال دام اكثر من نصف قرن . وفي الفترة الثانية من هذه المرحلة كان محور جهد عبد الناصر منصبا على تسليح الجيش المصري اولا وعلى محاربة المحاولات الامبريالية الرامية الى ادخال المشرق العربي في احلاف استعمارية ، ما لبثت ان تبلورت في حلف بغداد الذي وقع في كانون الثاني ١٩٥٥ . ومن المناسب هنا ، وفي هذه الايام بالذات ، ان نذكر ، مرورا ، بأن عبدالناصر قد أمر في الربع الثاني من العام ١٩٥٤ بتشكيل فرق للفدائيين الفلسطينيين ، وهو القرار الذي اعتبره بعض الصحفيين الغربيين بمثابة النذر الاولى لحرب عربية — اسرائيلية جديدة(١٥).

شعور عبد الناصر بالخطر الصهيوني ، وتجربته المرة ، كضابط في الجيش ، بسبب قصور السلاح المصري وفساده في حرب العام ١٩٤٨ ، جعله يعتبر هدف بناء جيش قوي احد الاهداف الستة لثورة ٢٣ يوليو . ووضع بالفعل هذا الشعار في امر اليوم . ان رفض عبد الناصر الاحلاف الاستعمارية ، بل حربه ضدها ، وامتناع الدول الامبريالية عن امداد مصر بالسلاح الا شرط قبولها الدخول في هذه الاحلاف ، حشر عبد الناصر في مأزق استمر يعانيه بتمزق حوالي سنتين ونصف السنة .

لم هذه المدة التي تبدو لنا ، اليوم ، طويلة ؟ الاسباب كثيرة . لعل اهمها : تبدل سياسة الاتحاد السوفياتي ازاء مصر ، حسم جزء هام من التناقضات في قيادة الضباط الاحرار، انتظار اتمام جلاء القوات البريطانية عن مصر ، الوقت الذي قضاه عبدالناصر ، شأنه في ذلك شأن اي مواطن عربي ، للخروج من المحارة او من عملية التعليب والتكييف Conditionnement الاستعمارية ، اتساع افقه السياسي نحو مزيد من النضج من خلال تأثيرات باندونغ، يأسه من احتمالات تسليح غربية بعد ان اتسعت شقة خلافه مع الغرب بسبب رفضه سياسة الاحلاف ، وأخيرا — لا آخرا — التحدي العسكري الاسرائيلي الذي تمثل في عدوان ٢٨ شباط على غزة ، حيث تجلى للعيان ، مجددا ، الضعف العسكري المصري .

لماذا العدوان على غزه ؟ وما نتائجه المباشرة وغير المباشرة ؟ لنتذكر ان حلف بغداد قد